أُهنِّئُ فضيلةَ الإمامِ الأكبَرِ الأستاذِ الدُّكتورِ/ أحمدِ الطَّيِّبِ، وأيضًا مجلسَ حكماءِ المسلمينَ بمؤتمَرِ «الإسلامُ والغربُ .. تنوُّعٌ وتكامُلٌ»، الَّذي أعتبِرُهُ الأقْوَى في جميعِ المؤتمَرَاتِ الَّتي عُقِدَتْ؛ لأنَّهُ يفتحُ لنَا حِوارًا منطقيًّا عَمَليًّا بينَ الشَّرقِ والغربِ.

نهنِّئُهُ بهذَا النَّجاحِ، وإلى مزيدٍ منَ النَّجَاحَاتِ، ففضِيلةُ الإمامِ لهُ نظرَةٌ ثاقِبَةٌ، ولهُ نظرةٌ مستقبلِيَّةٌ فِي أمورٍ كثيرةٍ.

إنَّ الَّذي ينظُرُ إلَى مصرَ يرَى فيهَا الأزهرَ والكنيسَةَ، فَيُدْرِكُ ويَعِي أنَّ مصرَ- كانتْ ولا تزالُ- هيَ بلدُ التَّعدُّدِيَّةِ، بلدُ الوسطِيَّةِ، بلدُ الجَمَالِ، وهُنَا علَى ضفَّتَي النَّهْرِ الخالِدِ تكَوَّنَ أوَّلُ مجتمَعٍ عظِيمٍ مؤلَّفٍ منْ عدَّةِ مَلايينَ يحكُمُهُم ملكٌ واحدٌ، ولدَيهم كلُّ الأُسُسِ اللَّازمةِ للحضَارَةِ؛ فَفِي القُرُونِ الَّتي تقَعُ بينَ ٥٠٠٠، ٣٥٠٠ ق. م قامَتْ أَوَّلُ دولَةٍ متحضِّرَةٍ.

ومصرُ هيَ بلدُ الخيرَاتِ؛ لذلِكَ كانَ دائمًا حُلْمُ الأباطِرَةِ العُظَماءِ الاستيلاءَ عليهَا؛ وقَدْ عُرِفَتْ مِصرُ منذُ القِدَمِ في العَالمِ بأسْرِهِ بأنَّها أرضُ الحِكْمَةِ وبلدُ الجَمَالِ، فقدْ ذكَرَ عنْهَا الكُتَّابُ أنَّها: «كجنَّةِ الرَّبِّ».

لمْ تكُنْ مصرُ بلدَ جَمَالٍ فقَطْ، بلْ كانَتْ - أيضًا - الملجَأَ والمَلاذَ الَّذِي هرَبَ إليهِ العديدُ منْ رِجالِ اللَّهِ، فكانَتْ هِيَ الأمَانَ لهَمُ: لجَأَ إليهَا إبراهيمُ النَّبِيُّ خَلِيلُ اللَّهِ عندَمَا تعرَّضَتِ الأرْضُ لجُوعٍ، ويُوسفُ الصِّدِّيقُ الَّذي أصبَحَ الرَّجُلَ الثَّانِي بعدَ فرعونِ مصرَ. كمَا نزَلَ إليهَا يعقُوبُ وَمَعَهُ أبناؤُهُ ليعيشُوا فِي مِصرَ، وَوُلِدَ فيهَا مُوسَى النبيُّ كليمُ اللَّهِ، وتأدَّبَ بكلِّ حِكمةِ المِصريينَ؛ وتزَوَّجَ سُلَيمانُ الحكيمُ ابنةَ فرعونَ، وإليهَا هرَبَ السَّيِّدُ المسيحُ وأمُّهُ وبرفقتِهِمَا يوسُفُ النَّجَّارُ منْ بطشِ هِيرودسَ ليعيشُوا فيهَا. وأيضًا مصرُ فيهَا صِلَةُ نَسَبٍ وَرَحِمٍ معَ النَّبيِّ.

مِصرُ هيَ بلَدُ البرَكَاتِ، ذكرَ عنهَا الكِتَابُ، وقَالَ: «مُبارَكٌ شعبِي مصرَ». وذُكِرَتْ - أيضًا - فِي القرآنِ في سُورةِ يُوسفَ [آية:٩٩]، وقَالَ: " فَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) ... . وَذُكِرَتْ فِي الأَحَادِيثِ النَّبويَّةِ؛ إذْ قالَ: «إذَا فتَحَ اللَّهُ عليكُمْ مِصرَ فاتَّخذُواْ منْهَا جُنْدًا كَثِيفًا، فَذَلِكَ خيرُ أجنَادِ الأرضِ؛ لأنَّهُمْ فِي رِبَاطٍ إلَي يومِ القيَامَةِ».

وَلِذَلكَ كانتْ مصرُ تَحمِلُ الكثِيرَ فِي داخِلِهَا، فَهِي علامَةٌ فارِقَةٌ فِي التَّاريخِ وفِي الحَضَارَاتِ وفِي الأديَانِ، فهِيَ أرضُ الخيرِ والبَرَكَةِ والمحبَّةِ والسَّلَامِ.

هِيَ بلدُ التَّعدُّدِيَّةِ- كمَا ذَكَرْتُ- تحمِلُ علَى أرضِهَا أعمَاقَ حياةِ الإنسانِ المِصرِيِّ الأصِيلِ الَّذِي يُقدِّمُ لنَا شخصيَّةً متفرِّدَةً عميقَةً، يعرفُ ويدرِكُ ويَقْبَلُ التَّنوُّعَ والتَّعدُّدَ، وفِي الوقتِ نفسِهِ يحمِلُ داخلَهُ التَّمَيُّزَ، وهذَا مَا اتَّسَمَ بهِ فضيلةُ الإمامِ الأكبَرِ الأستاذِ الدُّكتُورِ/أحمدِ الطَّيِّبِ.

تَستحضرُنِي فِي هذِهِ اللحظَاتِ مَا حدَثَ منْ تفجِيرٍ في كنيسَةِ السَّيِّدَةِ العذرَاءِ فِي العِراقِ فِي أكتوبَرَ ٢٠١٠م، ومَا تَلاهُ منْ تفجِيرٍ فِي الدَّقَائِقِ الأولَى منْ عامِ ٢٠١١م فِي كنيسةِ القِدِّيسِينَ فِي الإسكندرِيَّةِ؛ وحينَمَا جاءَ الإمامُ الأكبرُ ليُعزِّي المرحُومَ البابَا (شُنودَةَ الثَّالثَ)، تحدَّثَ إليهِ عنْ فكرَةِ تأسِيسِ وإنشَاءِ بيتِ العائِلَةِ المِصريَّةِ. لقدْ كانَ سبَّاقًا؛ إذْ كانَ ينظُرُ ويَعِي مَا يحدُثُ فِي المِنطقَةِ بأسرِهَا، بلْ والعَالمِ أجمَع؛ لذلِكَ أَخَذَ علَى عاتِقِهِ أنْ يُقدِّمَ كلَّ مَا هُوَ لخيرِ وسلامِ العَالمِ، وليسَ المنطقةَ العربيَّةَ ومصرَ فقَطْ.

علَى أرضِ مصرَ تجِدُ ملامِحَ حضارَتِهَا الفِرعَونيَّةَ، وملامحَ الحضَاراتِ الإغريقِيَّةِ واليُونانيَّةِ والقِبطيَّةِ والإسلاميَّةِ. كمَا استقبلَتْ مصرُ كلَّ وافِدٍ علَى أرضِهَا منْ جميعِ أنحَاءِ العالَمِ؛ سَوَاء طلبًا للأمنِ أو للعِلْمِ، أو حُبًّا للحياةِ في رُبُوعِهَا؛ وهكَذَا استوعَبَتْ أرضُ الكِنَانَةِ الجميعَ في اتِّسَاقٍ وتَنَاغُمٍ لمْ يُعرَفْ في أيِّ بلَدٍ آخرَ.

علَى أرضِ مصرَ عرَفَ أهلُهَا معنَى التَّعدُّدِيَّةِ الدِّينيَّةِ والتَّعايُشَ السِّلمِيَّ، فعلَى مرِّ تَارِيخِهَا كانَتْ الغَلَبَةُ في نِهايَةِ الأمرِ للتَّسامُحِ الدِّينيِّ. وإنْ كانَ هذَا أمْرٌ قدْ عرَفَهُ المصريُّ القديمُ وعاشَهُ فمَا أشدَّ الاحتياجَ إليَهِ الآنَ في عالَمِ اليومَ؛ فالعَالمُ اليومَ يحتَاجُ أنْ يتعلَّمَ: قبولَ الآخَرِ المختلِفِ معَهُ، وأنْ يعرفَ السَّلامَ والتَّعايُشَ السِّلمِيَّ.

كخ التَّعَايُشُ السِّلمِيُّ:

إنَّ التَّعايُشَ السِّلمِيَّ هُوَ نوعٌ منَ التَّعَاوُنِ بينَ أعضَاءِ المجتمَعِ الواحِدِ؛ سَوَاءٌ علَى مُستوَى العالَمِ، أوْ علَى مُستوَى الدَّولَةِ الوَاحِدَةِ، وهُوَ يحتَاجُ

إلَى بِناءٍ وتدعِيمٍ بالثِّقَةِ والاحتِرَامِ، معَ إيجَادِ أرضيَّةٍ تتَّفِقُ عليهَا جميعُ الأطرَافِ المتنوِّعَةِ، وهذَا لا يتِمُّ إلَّا عنْ طرِيقِ الاقتِنَاعِ الدَّاخِلِيِّ، والرِّضَا، والاختيارِ الكامِلِ.
فَلَا شَكَّ أنَّ ثورَةَ المعلُومَاتِ الحديثَةِ جعَلَتِ العَالَمَ أشبَهَ بالقريَةِ الصَّغيرَةِ، فسهَّلَتِ التَّواصُلَ والتَّعَارُفَ بينَ البَشَرِ منْ شتَّى الجنسِيَّاتِ والأديَانِ، واختصَرَتِ المسَافَاتِ، لعلَّنا نتعَلَّمُ منهَا مَا يزيدُنَا إيجابِيَّةً تِجاهَ بعضِنَا البعضَ، وتجعَلُنَا أكثرَ تفاهُمًا وتفَهُّمًا معَ اختِلافَاتِ اتِّجَاهَاتِنَا، سائِرِينَ بخُطًى ثابِتَةً نحوَ التَّعَايُشِ السِّلمِيِّ.
وإنْ كانتِ السِّياسَةُ الدَّوليَّةُ نادَتْ بالتَّعايُشِ السِّلمِيِّ منْ خلالِ قيَامِ تعاوُنٍ بينَ دُولِ العالَمِ علَى أساسٍ منَ التَّفاهُمِ وتَبَادُلِ المصَالِحِ الاقتِصَادِيَّةِ والتِّجارِيَّةِ؛ فَلَا جِدالَ أنَّ رسَالةَ الأديَانِ الَّتِي تسعَى نحوَ رُقِيِّ الإنسَانِ وسعادَتِهِ تُطالِبُنَا بالتَّعايُشِ السِّلمِيِّ معَ بعضِنَا البعضَ مُرتفِعِينَ إلى مُستوَى الإنسانِيَّةِ والخيرِ الَّذِي يطالِبُنَا بهِ اللَّهُ، والَّذِي سوفَ يُحاسبُنَا عليهِ.
والتَّحاوُرُ بينَ الأديَانِ أوِ التَّعايُشُ فيمَا بينهَا يعنِي إيجَادَ النِّقاطِ المشتركَةِ بينَهُمْ، وإبرازَ ما تُقدِّمُهُ للارتِقَاءِ بالقِيَمِ الإنسانيَّةِ المشتركَةِ؛ مِثل: التَّسامُحِ، والمحبَّةِ، والرَّحمةِ، والعدلِ، والخيرِ معَ ضَمانِ حُقوقِ الإنسانِ وسلامتِهِ. وهذَا هُوَ مَا يُطبِّقُهُ بيتُ العائِلَةِ فِي سِياقِ عمَلِهِ الدَّائمِ داخلَ مصرَ، وبَدَأَ الآنَ يمتَدُّ خارجَ مِصرَ.
فالتَّعايُشُ بينَ الأديانِ هوَ تعايُشٌ ثقافيٌّ، وحضارِيٌّ، يسعَى إلَى خدمَةِ الأهدَافِ، والأمورِ السَّامِيَةِ الَّتِي نسعَى إليهَا جميعًا. ونَرَى ذلِكَ بشكلٍ واضِحٍ فِي القِيَمِ والمبادِئِ الَّتِي تُعَلِّمُهَا الأديَانُ.
وسأُقدِّمُ بعضَ الأمثِلَةِ علَى تلكَ القِيَمِ والمبادِئِ فِي كُلٍّ منَ المسيحيَّةِ والإسلامِ:
كخ فِي المسيحِيَّةِ:
نَجِدُ المسيحيَّةَ تُقدِّمُ «المحبَّةَ» و«التَّسامُحَ» كأسَاسٍ للتَّعامُلِ الإنسانِيِّ معَ جميعِ البَشَرِ:
- عَلَّمَتِ المسيحيَّةُ عدَمَ إهانَةِ الإنسانِ بأيِّ صُورةٍ منَ الصُّوَرِ: «قَدْ سَمِعْتُمْ إِنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ. وَمَنْ قَتَلَ يَكُونَ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا

فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الحُكْمِ» (مَتَّى ٥: ٢١، ٢٢).

- وَطَالَبَتْ بصُنْعِ السَّلامِ معَ الجميعِ إذْ قَالَ: «طُوبَى لصَانِعِي السَّلَامِ...» (مَتَّى ٥: ٩)، «وَثَمَرُ البرِّ يُزرَعُ فِي السَّلامِ ... » (يعقُوبُ ٣: ١٨).

- كمَا علَّمَتِ المسيحيَّةُ المحَبَّةَ للجَمِيعِ، فَنَهَتْ عنِ الكَراهِيَّةِ، فقَالَ: «كُلُّ مَنْ يبغَضُ أَخَاهُ فهُوَ قَاتِلُ نفْسٍ». (١ يُوحَنَّا ٣: ١٥)؛ وَطَالَبَتْ بِالمحَبَّةِ حتَّى للأعْدَاءِ، وَقالَ: «أَحِبُّواْ أعدَائَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ» (مَتَّى ٥: ٤٤).

كخ وَإِذَا انتَقَلْتُ مَعَكُمْ إِلَى الإِسلَامِ، نَجِدُ أَنَّ الإِسلَامَ:

- يُقَدِّمُ صُورَةً لعلَاقَةِ الإِنسَانِ معَ غيرِهِ -أيًّا كانَ هذَا الغَير- فِي أَنَّها علاقَةُ زَمَالَةٍ وصُحْبَةٍ تقُومُ علَى مَبْدَأِ السَّلَامِ، فجَاءَ في سُورَةِ «الحُجُرَاتِ» [آية:١٣]، وَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .. " وعبارَةُ " لِتَعَارَفُوا" لهَا هدَفٌ قَوِيٌّ وعَمِيقٌ. إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ منَ البَشَرِ أَنْ يتَعَارَفُوا جميعًا، وأنْ يَعِيشُوا علَى أساسٍ منَ الودِّ والمحبَّةِ.

- وأَنَّ استِبَاحَةَ القَتلِ هيَ لِرَدِّ الاعتِدَاءِ فَقَطْ، ففِي سُورَةِ «المُمْتَحنَةِ» [آية:٨] قَالَ: " *لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ* لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي *الدِّينِ* وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ *أَن تَبَرُّوهُمْ* وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ"

- وأكثَرَ منْ ذَلِكَ أقُولُ: إِنَّ الإِسلَامَ نَهَى عنْ مُجَرَّدِ تَرويعِ الإِنسَانِ وتخوِيفِهِ، حتَّى لَوْ كانَ التَّرويعُ علَى سَبيلِ المُداعَبَةِ أو المزَاحِ، فجَاءَ في الحدِيثِ وقَالَ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

- وَطَالبَ الإِنسانَ بالتَّعَاوُنِ والبرِّ والعدلِ، وَقَالَ: " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ .. " [المائِدَةُ: ٢]. وَقَالَ أيضًا: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ" [النَّحلُ: ٩٠].

- وَقُدِّمَتْ أيضًا المعاهَدَاتُ الَّتي سمِعْنَا عنهَا منَ الإِمَامِ الأكبَرِ والَّتِي قَدَّمَتْ جميعَهَا صُورةً للتَّعايُشِ السِّلمِيِّ:

- جَاءَ في وثيقَةِ الصُّلْحِ بينَ الرَّسُولِ ونَصَارَى نَجْرَان مَا نَصُّهُ(*): «وَلَا يُغَيَّرُ أسقفٌ منْ أسقفيَّتِهِ، وَلَا راهِبٌ منْ رهبانِيَّتِهِ، وَلَا كاهِنٌ منْ كَهَانَتِهِ، وَلَيْسَ عليهِ دَنِيَّةٌ».

- وفِي مُعاهَدَةِ الخليفَةِ عُمَر بنِ الخطَّابِ معَ أهلِ بيتِ المقدِسِ: «هَذَا مَا أَعْطَى عبدُ اللَّهِ عمرُ أميرُ المؤمنِينَ أهلَ (إيلِيَاء) منَ الأمَانِ: أعْطَاهُمْ أمانًا لأنفُسِهِمْ وأمْوَالِهِمْ وكنائِسِهِمْ وصُلبَانِهِمْ، وسَقِيمِهَا وبَرِيئِهَا وسائرِ مِلَّتِهَا أنَّهُ لا تُسكَنُ كنائِسُهُمْ، ولا تُهْدَمُ، ولا يُنْتَقَصُ منهَا ولا مِنْ حَيِّزِهَا، ولَا مِنْ صُلبَانِهِمْ ولَا من شيءٍ منْ أموالِهِمْ، ولا يُكرَهُونَ علَى دينِهِمْ ولَا يُضَارّ أحدٌ منهُمْ».

فإذَا كانَ هكَذَا فعَلَ الرَّسولُ والخلفَاءُ، فأيضًا نجِدُ العلمَاءَ علَى مدَارِ التَّارِيخِ يُوصُونَ الأمَرَاءَ والخلفَاءَ والحُكَّامَ بحُسْنِ مُعامَلَةِ غيرِ المسلمِينَ وتفَقُّدِ أحوالِهِمْ، وهذَا ما كتَبَهُ القَاضِي أبو يُوسفَ إلَى الخلِيفَةِ هارُون الرَّشِيدِ يُوصِيهِ بتفَقُّدِ أحوالِ أهلِ الذِّمَّةِ ورِعَايَتِهِمْ فَقَالَ: «وَقَدْ يَنْبَغِي يَا'أَمِيرَ المؤمنِينَ أنْ تَتَقَدَّمَ فِي الرِّفْقِ بأهْلِ ذِمَّةِ نَبِيِّكَ ...وَالتَّقَدُّمُ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَا يُظْلَمُوا، وَلَا يُؤذَوا، وَلَا يُكَلَّفُواْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ، وَلَا يُؤْخَذْ شَيءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا بِحَقٍّ يَجِبُ عَلَيهِمْ»(*).

وتحقيقُ التَّعايُشِ السِّلمِيِّ وبناءُ المجتمَعَاتِ يكونُ علَى أساسِ العدلِ بينَ جميعِ البَشَرِ، وجَاءَ ذلكَ فِي سُورةِ «المائِدَةِ» [آية:٨] حينَمَا قَالَ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا".

وهَذَا مَا قدَّمَهُ التَّاريخُ فِي كلِّ المجتَمَعَاتِ فحينَمَا يغِيبُ هذَا عنَّا ويغشَى الظُّلمُ المجتمعَاتِ فتَؤُولُ إلَى التَّفكُّكِ والانهِيَارِ، وتضِيعُ قُوَّةُ الأُمَمِ والملُوكِ. وهناكَ العدِيدُ الَّذِي قدَّمهُ الإسلامُ فِي التَّاريخِ كنماذِجَ عادِلَةٍ يُحتَذَى بهَا علَى مرِّ الأزمَانِ مِثل «عُمر بنِ الخطَّابِ» حينَمَا أمَرَ بالكفَالَةِ طولَ الحيَاةِ لقَومٍ مجذُومينَ كانُواْ مسيحيِّينَ حينَمَا جاءَ إلى دِمشْق. لقدْ كانَ ينظُرُ للمسلمِينَ والمسيحيِّينَ كرَعَايَا دولةٍ يُعَاملُهُمْ جميعًا بالعَدْلِ(*).

ولعلَّ أيًّا مِنَّا حينَ يبحَثُ فِي التَّاريخِ يجِدُ أنَّ العدلَ والتَّفهُّمَ والتَّعَايُشَ الَّذي عاشَتْهُ مِصْرُ والشَّرقُ الأوسَطُ قبلًا فِي ظِلِّ الحُكَّامِ والملُوكِ العَادِلِينَ كانَ

يعكِسُ فتراتِ قوَّةٍ فِي تاريخِ البِلادِ، فعنْدَمَا يتدَفَّقُ العدلُ منَ الحَاكِمِ إلَى شعْبِهِ تأْمَنُ البِلادُ؛ ويشعُرُ كُلُّ إنسانٍ أنَّهُ فِي مأْمَنٍ منَ الخَطَرِ، وينعَكِسُ هَذَا فِي ازدِيَادِ البِنَاءِ والتَّقدُّمِ والتَّحضُّرِ. وحِينَمَا تكثُرُ الحُرُوبُ ينشغِلُ أهلُ البُلادِ عنهَا، ولَا فرقَ هُنَا بينَ عدوٍّ خارجِيٍّ وآخرَ داخليٍّ، بلِ الأصعَبُ هوَ أنْ يكونَ العدوُّ منَ الدَّاخِلِ؛ يحاوِلُ تفريقَ شملِ البِلادِ؛ لتظَلَّ تحتَ وطْأَةِ التَّعثُّرِ والتَّهاوِي.

أمَّا عنْ فضِيلةِ الإمَامِ الأكبَرِ الَّذي يرأَسُ بيتَ العائِلَةِ المِصريَّةِ هُو وقَدَاسَةُ البَابَا الأنبَا تواضرُوس الثَّانِي، فنجِدُ أنَّهما دائمًا في عمَلٍ دَؤُوبٍ، ولِقَاءَاتٍ دائِمَةٍ معَ كافَّةِ اللجَانِ وأنشطَتِهَا. وعلَى سبيلِ المثَالِ أُقَدِّمُ كُلًّا منْ لجنَتَي الشَّبابِ ولجنَةِ الخِطابِ الدِّينيِّ كنموذَجٍ لما تَقُومُ بهِ لجانُ بيتِ العائِلَةِ المصرِيَّةِ.

تَهتَّمُ لجنَةُ الشَّبابِ بالشَّبابِ علَى مستوَى جمهوريَّةِ مصرَ العربيَّةِ، وقَدْ قَامَ مجموعَةٌ منَ الباحِثينَ والمتخصِّصينَ بعَمَلِ لقاءَاتٍ معَ مجموعَاتٍ منَ الشَّبَابِ فِي كافَّةِ المحَافظَاتِ؛ حيثُ أُقِيمَتِ الحِوَارَاتُ والمؤتمَرَاتُ، وأُقِيمتْ مُبارَيَاتُ كُرَةِ القَدَمِ بينَ شبابِ بعضِ القُرَى وبعضِ المحافَظَاتِ، وكَانَ يقُومُ أَحَدُ الشُّيُوخِ بالتَّحكِيمِ فِي الشَّوطِ الأوَّلِ، ثُمَّ يقومُ أَحَدُ القَسَاوسَةِ بتحكِيمِ الشَّوطِ الثَّانِي، وكَانَ هذَا يهدِفُ إلَى نقْلِ اهتمامِ وتركِيزِ الشَّبابِ منْ نفسِهِ ليصبِحَ انتماؤُهُ إلَى قريتِهِ، أوْ محافظَتِهِ، وبالتَّالِي إلى بلدِهِ، وكَانَ هذَا بتوجيهٍ واضِحٍ منْ فضيلَةِ الإمَامِ.

أيضًا فِي لجنَةِ الخِطابِ الدِّينِيِّ، ومقرِّر اللجنةِ أ. د. مُحيي الدِّين عفِيفِي، تمَّ عملُ دوراتٍ تدريبيَّةٍ يحضُرُهَا ٣٥ منَ القَسَاوسَةِ و٣٥ منَ الشُّيُوخِ، ويُقِيمُوا معًا مُدَّةَ ثلاثةِ أيامٍ فِي أحَدِ الفنَادِقِ أربعَ مرَّاتٍ فِي السَّنَةِ. وفِي خلالِ هذهِ الدَّورَةِ يستمِعُونَ معًا إلَى المحَاضرَاتِ، ويلتَقُونَ معَ فضيلَةِ الإمَامِ، أوْ قَدَاسَةِ البابَا، أو فضيلَةِ المفتِي، أو بابَا الكَاثُولِيك. كمَا كانُواْ يقُومُونَ بزيَارَةٍ مشتركَةٍ إلَى الكنَائِسِ أوِ الجوَامِعِ أو الأَدْيِرَةِ؛ أيضًا زِيَارَاتُهُمُ المشتركةُ كانَتْ لقَنَاةِ السّويس، أو زِيارَة المستشفيَاتِ والمرضَى سويًّا. تمَّ تخريجُ حوالِي ٣٠٠ كاهنٍ وشيخٍ وتسلَّمُوا الشّهادَاتِ منَ الأستاذِ الدُّكتورِ/محمُود حمدِي زقزُوق -الأمينِ العامِ لبيتِ العائِلَةِ

المصريَّةِ، ونجَحْنَا فِي أخْذِ بعضٍ منَ القُسُسِ والشُّيُوخِ لعمَلِ لقاءَاتٍ فِي طَابورِ الصَّبَاحِ فِي بعضِ المدَارِسِ بالتَّنسِيقِ معَ وزارَةِ التَّربيةِ والتَّعليمِ.
وكانَ لهذِهِ الدَّوراتِ أثَرٌ إيجابِيٌّ كبيرٌ، فقَدْ قَامَ الشُّيوخُ والقَسَاوسَةُ بالتَّزَاوُرِ معَ بعضِهِمِ البَعْض، وهذَا خلَقَ نوعًا منَ التَّفَاهُمِ والودِّ علَى أرضِ الواقِعِ، فأصبَحَ منَ الممكِنِ أنْ يقُومُوا بعمَلِ زيَاراتٍ للمستشفَيَاتِ والمرضَى وعمَلِ نشَاطٍ علَى مستوَى الحيِّ، وبالتَّالِي أدَّى ذلِكَ إلَى نتائِجَ إيجابِيَّةٍ فِي التَّعامُلِ بينَ النَّاسِ.
فِي الحقيقةِ أنَا لا أذكُرُ هذَا لوُجودِ فضيلةِ الإمَامِ بينَنَا، ولكنْ منَ الواجِبِ إعطَاءُ كُلِّ ذِي حقٍّ حقَّهُ، فقدْ قامَ فضيلتُهُ بترسِيخِ ذلكَ الفِكْرَ فِي الشُّيُوخِ، كمَا رسَّخَهُ أيضًا قداسَةُ البابَا في فكْرِ القَسَاوسَةِ. وتجِدُ الشُّيوخَ يحضرُونَ إلَى البَطريركيَّةِ لحضُورِ اجتماعَاتٍ أوِ القَسَاوسَةَ يجتمعُونَ معَهُمْ فِي الأزهرِ، وأصبَحَ هُنَاكَ نوعٌ منَ التَّآلُفِ، والمحبَّةِ، وازدِيَادِ اللُّحْمَةِ.
سوفَ أُقدِّمُ مثلًا لذلكَ ولَا أعلَمُ هلْ يعرفُهُ فضيلَةُ الإمَامِ أم لَا؟ فقَدْ حضَرَ مُنسِّقُ عامِ بيتِ العائِلَةِ المصريَّةِ الدُّكتورُ/محمَّدُ أبو زيد الأمِير عيدَ القدِّيسَةِ دميانةَ فِي البَرَارِي ببِلْقاس، وألْقَى خطبةً فِي العيدِ فِي وُجُودِ المحافظِ ووجُودِ الشَّعبِ كلِّهِ، وكانَ يحضُرُ الاحتفالَ مطرانُ وأسقفانِ.
وأيضًا قامَ معِي بزيارَةِ كنيسةِ السَّيِّدَةِ العذراءِ في سخَا، حيثُ شاهَدَ الحَجَرَ الَّذي طُبِعَ عليهِ كَعْبُ السَّيِّدِ المسيحِ؛ وقدِ استُقْبِلَ بحفاوَةٍ منَ الجمِيعِ. الحقيقَةُ تلكَ المواقِفُ كانَتْ تَنْدُرُ أوْ تَتَلَاشَى فِي السَّنَوَاتِ الماضِيَةِ عندَمَا كانَتْ هُنَاكَ عُزْلَةٌ. لكنِ اليومَ نتعامَلُ معًا في حُبٍّ، ونجِدُ اللُّحْمَةَ، والنَّظرَةَ الثَّاقبَةَ المستقبليَّةَ الَّتي ذَكَرَهَا فضيلَةُ الإمَامِ. وللحَقِّ مَهْمَا تحدَّثْنَا فلَنْ نُعطِيَهُ قَدْرَهُ.
أيضًا أشعُرُ بالفخرِ بهذَا المؤتَمَرِ؛ وذلِكَ لأنَّ فضيلَةَ الإمَامِ استطَاعَ أَنْ يخرجَ بمفهومِ «التَّنوُّعِ والتَّكامُلِ» منْ داخِلِ مصرَ أوِ الوطَنِ العربِيِّ إلَى العالمِ أجمَع؛ إذْ أنَّهُ يدركُ عمقَ المواجَهَةِ الصَّريحَةِ الَّتِي يتعرَّضُ لهَا رجالُ الدِّينِ -مسيحيِّينَ أوْ مسلمِينَ- فِي مُقابِلِ خُطَّةٍ مستهدفَةٍ منْ أجلِ نشْرِ الإلحَادِ. لكنْ -إنْ شاءَ اللَّهُ- بالتَّعَامُلِ معًا نستطيعُ أنْ نُحَقِّقَ التَّعايُشَ

السِّلمِيَّ من خِلالِ الفَهْمِ الحقيقِيِّ لتعَاليمِ الأديَانِ الَّتِي تُقدِّمُ معنَى الإنسانيَّةِ، واستيعابَ المبادِئِ المشتركَةِ الَّتي تُقَدِّمُ لنَا معنَى الحيَاةِ الحقَّةِ.
ولكنْ يجِبُ ألَّا نَنْسَى أنَّهُ لتحقِيقِ التَّعايُشِ المشترَكِ علينَا جميعًا:
كخ التَّوحُّدُ معًا فِي المحافَظَةِ علَى الحيَاةِ المشتركةِ علَى أساسٍ منَ الاحترَامِ والتَّقدِيرِ لقِيَمِ الإنسانيَّةِ العظيمَةِ.
كخ مواجهةُ أيَّةِ محاولَاتٍ للفُرْقَةِ بينَ أبناءِ الوطَنِ الواحِدِ، أوْ بينَ أبناءِ اللُّغَةِ الواحدَةِ، أوْ بينَ أبناءِ الدِّينِ الواحدِ.
كخ تقدِيمُ الفَهْمِ الصَّحِيحِ للقِيَمِ الدِّينيَّةِ، ونغرِسُ ونُنشيءُ الأجيالَ القادِمَةَ على القِيَمِ المشتركَةِ والمبادِئِ الإنسانيَّةِ الرَّفيعَةِ.
أَشْكُرُ جميعَ الحضُورِ والمشارِكينَ فِي هذَا المؤتمَرِ الَّذِي نسعَى فيهِ معًا منْ أجْلِ خيرِ العالَمِ، ونطلُبُ منَ اللَّهِ أنْ ينعمَ على بلادِنَا والعالَمِ بالسَّلامِ والخيرِ والرَّخَاءِ
حفظَ اللَّهُ مصرَ وصانَهَا منْ كُلِّ شرٍّ،
وحفظَكُمْ جميعًا وَأَشْكُرُكُمْ